**تاريخ الدولة العربية الاسلامية**

**الخلافة العباسية سنة (( 132 - 656هـ)) /المحاضرة الخامسة عشر**

تمكن العباسيين من تأسيس دولتهم في المشرق الاسلامي بعد سقوط الدولة الاموية سنة 132هـ . وانصب اهتمامهم صوب العراق وتحديداً واسط والكوفة ، فواسط كانت المقر الرئيسي لولاية العراق والمشرق ، ومنها كانت تصدر الاوامر لحكام المناطق وقادة الجيوش في المشرق الاسلامي ، واما الكوفة فكانت احدى المراكز المهمة للدعوة العباسية التي رفعت شعار "الرضى من آل محمد" (صل الله عليه واله وسلم) فضلاً عن احتضانها للأسرة العباسية بعد خروجها من مدينة "الحميمة" في بلاد الشام . خوفاً من ملحقة الامويين لهم .

وبعد ان تمكن العباسيين وبالتعاون مع المؤيدين لهم من الفرس من القضاء على الامويين من خلال سلسلة من المعارك والتي انتهت بمعركة "معركة الزاب" سنة 132هـ ، والتي استطاع العباسيين من خلالها دخول مدينة الكوفة وتعين "ابو العباس السفاح " كأول خليفة عباسي من السنة نفسها ، وهكذا انتقل الحكم الى الاسرة العباسية ، وبذلك بدأت مرحلة جديدة في التاريخ الاسلامي امتدت لاكثر من خمسة قرون من الزمن حكم فيها 37 خلفية من تلك الاسرة.

\*اهم الخلفاء العباسيين

ابو جعفر المنصور

يعد ابو جعفر المنصور المؤسس الحقيقي للخلافة العباسية قام  بتوطيد لدعائم الدولة الجديدة، فقضى على الثورات المتلاحقة التي هددتها، وقتل ابو مسلم الخرساني مع كونه سبب حصول العباسيين على الخلافة خوفًا من امتداد نفوذه، وقضى على ثورة المدينة المنورة التي بايع أهلها محمد بن عبد الله بن الحسن الملقب بالنفس الزكية بالخلافة، وقضى على ثورات شبيهة في البصرة وواسط والاهواز، كما قام بخلع إبن أخيه عيسى بن موسى من ولاية العهد بعد أن أستغله لسنوات في توطيد حكمه والقضاء على مخالفيه ، شحن الثغور والأطراق وأمن السبل وعرف بميله إلى الاقتصاد في النفقات حتى امتلأت خزائنه تاركًا لابنه المهدي  ثروة جعلته ينفق في سعة ومن الأعمال العمرانية الهامة التي ارتبطت به تشييده مدينة بغداد على نهر دجلة ونقله عاصمة الخلافة إليها. وقد توفي سنة 158هـ وعهد الى ابنه المهدي من بعده .

محمد المهدي

تولى الخلافة بعد وفاة وقد شهد عصره استقراراً سياسياً ورخاءاً اقتصادياً ، واهتم بالخدمات الداخلية فنظم البريد والطرقات وأصلح الزراعة ونقل عن رفاه الشعب وعدالة القضاء الذي كان يرأسه بنفسه، توفي سنة 169هـ وعهد

بالخلافة الى ابنه موسى الهادي الذي لم يدم حكمه سوى سنة وبضعة اشهر ، لتنتقل الخلافة من بعده الى اخيه هارون الرشيد سنة 170 هـ .

هارون الرشيد

ابو جعفر هارون الرشيد بن محمد المهدي تولى الخلافة سنة 170 هـ بعد وفاة اخيه موسى الهادي وخلع عليه والده لقب «الرشيد» في أعقاب إحدى الغزوات التي انتصر فيها على البيزنطيين، لاستلام السلطة. اهتم هارون الرشيد بالإصلاحات الداخلية فبنى المساجد  الكبيرة والقصور الفخمة وفي عهده استعملت القناديل لأول مرة في إضاءة الطرقات والمساجد، وتطورت العلوم خصوصًا الفيزياء الفلكية والتقنية، وابتكرت عدد من الاختراعات كالساعة المائية. اعتنى الرشيد أيضًا بالزراعة ومأسسة نظامها، فبنت حكومته الجسور والقناطر الكبيرة وحفرت الترع والجداول الموصلة بين الأنهار، وأسس ديوانًا خاصًا للإشراف على تنفيذ تلك الأعمال الإصلاحية، ومن أعماله أيضًا تشجيع التبادل التجاري بين الولايات وحراسة طرق التجارة بين المدن .

**التنظيمات الادارية في العصر العباسي**

**اولاً :الدواوين في العصر العباسي .**

تطورت النظم الإدارية في العصر العباسي تطوراً ملحوظاً، إذ اتبعّوا في بداية الأمر النهج الذي كان عليه العصر الأموي، واستخدموا طريقة الأمويين في الاستعانة برجال ذات قدرة وكفاءة في الإدارة، وأصبحت الدواوين لها دفاتر خاصة، وتعتبر هذه خطوة إدارية مهمة إذ أصبحت الدواوين تسجل كل أحوال الدولة وما يدخل إليها وما يخرج منها، كما اهتموا بالناحية الاقتصادية لما لها من تأثير على الحكم والدولة والرعية، ومن هذه الدواوين هي :

اولاً:- ديوان الازمة .

سمي ديوان الازمة في العاصمة وديوان الزمام في الولايات ، انشأه الخليفة المهدي وكانت هذه الدواوين عبارة عن دوائر صغيرة تشرف على اعمال الدواوين الكبيرة حتى كأنها دواوين محاسبة ، اذ كانت تهتم بالدرجة الاولى بالتدقيق والحسابات والشؤون المالية التي يتصرف بها ديوان من الدواوين .

ثانياً:- ديوان زمام الازمة .

وهو الديوان الذي ينظم في آن واحد جميع دواوين الازمة وكان صاحبه يشبه وزير المالية ، فهو يجمع الواردات كلها وانواع النفقات ويقيم الموازنة بينهما .

ثالثاً:- ديوان المظالم .

وقد استحدث المنصور بيت مال المظالم أي أنّه إذا عزل أحد العمّال كان يأخذ ماله ويضعه في بيت مال مستقل عن بيت المال العام ويكتب عليه اسم صاحبه.

رابعاً:- ديوان الموالي والغلمان .

استحدثه المعتصم بهدف تسجيل اسماء مواليه وغلمانه من الاتراك والاهتمام في الاستكثار منهم ، وسبب ظهوره كثرة الاتراك واستخدامه لهم وتزايد عددهم في الجيش والبلاط ، فانشأ لهم هذا الديوان لكي يهتم بشؤونهم واحتياجاتهم .

كانت هناك دواوين كثيرة، إذ كانت هناك لكل ولاية ديوان يدير شؤونها، وبعد ذلك قام المعتضد بتوحيد هذه الدواوين في ديوان واحد سميّ (ديوان الدار)، وكان له ثلاثة فروع: ديوان المشرق وديوان المغرب وديوان العراق، بعد ذلك قام العباسيون بتطوير الدواوين التي وجدت في العصر الأموي، وقاموا باستحداث دواوين لم تكن موجودة مثل ديوان الضياع، وديوان المصادرة، وديوان الأزمة، وديوان الأحشام.

\*بناء مدينة بغداد .

بغداد مدينة عتيقة، لكنها ليست قديمة، فقد بدأ بناؤها في عام 762 من الميلاد على يد الخليفة العباسي أبو جعفر المنصور لتكون عاصمة الإمبراطورية الإسلامية. وبمفاهيم بلاد الرافدين، كانت بغداد مدينة حديثة مقارنةً بمدن مثل نينوى أو أور، أو حتى بابل.

تتميز بغداد بتخطيطها الملهِم فائق الدقة، ويُقال إنه بعد أن عبر الخليفة المنصور نهر دجلة للبحث عن مكان مناسب لعاصمته الجديدة، نصحه كهنة نسطوريون عاشوا قبل المسلمين في تلك المنطقة بمكان مناخه ملائم للبناء.

يوضح أحمد بن أبي يعقوب اليعقوبي، عالِم الجغرافيا والمؤرخ العربي الذي عاش في القرن السابع وألَّف «كتاب البلدان»، أن  موقع بغداد التجاري على ضفاف نهر دجلة بالقرب من الفرات ، اعطى المدينة فرصة لتكون نقطة تقاطع كونية ، فقد أصبحت مدينة السلام ومحور العالم وعاصمة الإسلام دون منازع، وكذلك موطن العلماء الرائدين وعلماء الفلك والشعراء وعلماء الرياضيات والموسيقيين والمؤرخين ورجال القانون والفلاسفة.

بعد أن وافق الخليفة المنصور على موقع البناء، شرع في التصميم.

وفقًا لبعض المؤرخين، أدى الخليفة المنصور هذا العمل بنفسه وفرض عليه رقابة صارمة، فجعل العمال يرسمون خطوطًا من الرماد على الأرض لتخطيط مدينته دائرية ، وكانت الدوائر المتقَنة إجلالًا للدراسات الهندسية لعالِم الرياضيات اليوناني «إقليدس»، التي درسها الخليفة وأُعجب بها.

بعد ذلك، تجول الخليفة في مخططه الدائري وأعطى موافقته على التصميم، وأمر بوضع كرات قطنية منقوعة في سائل نفطي على الدوائر المصنوعة من الرماد وإضرام النار فيها، لتحديد مكان تشييد الجدران الخارجية المدعمة.

\*كيف بنيت بغداد :-

يمتد الشكل الدائري للمدينة على مساحة ستة كيلومترات ونصف تقريبًا، وتميزه الجدران القرميدية الضخمة التي ترتفع على ضفاف نهر دجلة.

بطَت الحجارة ببعضها بحِزَم من القصب، وشُيِّد الحائط الخارجي على ارتفاع 25 مترًا، وفي أعلاه بُنيت أسوار بمنصات، وحُفر خندق عميق حول المحيط الخارجي للحائط.

شارك في أعمال البناء عدد هائل من العمال وآلاف المهندسين المعماريين والخبراء القانونيين والمسَّاحين والنجارين والحدادين، إضافة إلى العمال العاديين من مختلف مناطق الإمبراطورية العباسية.

بعد أن أُنجزت أعمال المسح والقياس وحفر الأساسات، أعد العمال عجينة الطين لصنع قوالب القرميد، التي طالما كانت مادة البناء الأساسية في سهول بلاد ما بين النهرين بسبب غياب مقالع الحجارة، بنيت المدينة التي تشبه القلعة حجراً تلوا الاخر ، وكان الانتهاء منها واحدا من اعظم مشروعات الدولة العباسية ، ويقدِّر اليعقوبي عدد العمال المشاركين بنحو مئة ألف.

\*تصميم بغداد الدائري.

كان التصميم الدائري للمدينة مبتكَرًا، ووقتها قال الخطيب البغدادي إنه «لا توجد مدينة أخرى في العالم دائرية الشكل».

زُيِّنت الطرق الأربعة التي توصل إلى وسط بغداد بالممرات المقنطَرة التي ضمت المتاجر والأسواق، وتفرعت منها ممرات تؤدي إلى الساحات والمنازل.

تحتوي المدينة على أربعة أبواب متساوية في البُعد عن بعضها، وتمر فيها طُرق تؤدي إلى وسط المدينة. بوابة الكوفة في الجنوب الغربي، وبوابة البصرة في الجنوب الشرقي وتؤدي إلى قناة «سارات» المائية، التي شكلت جزءًا أساسيًّا من شبكة المياه، إذ تسحب المياه من الفرات إلى دجلة. أما بوابة الشام في الشمال الغربي، فتؤدي إلى طريق الأنبار والصحراء نحو سوريا، وفي الشمال الشرقي تقع بوابة خراسان التي تؤدي إلى جسر من القوارب في نهر دجلة.

على امتداد فترة طويلة من حياة المدينة ، استعمل السكان جسوراً عائمة تتألف من قوارب مربوطة ومثبة الى الضفتين ، واعتُبرت تلك الجسور بصمة خلابة من بصمات بغداد. ولم تشهد المدينة جسورًا ثابتة حتى وصول البريطانيين في القرن العشرين.

على قمة البوابات الأربعة شُيِّدت نقاط حراسة لتأمين رؤية تتيح السيطرة على المدينة من الداخل، وكشف كيلومترات من بساتين النخيل المتشابكة خارجها، والسهول الخضراء التي زينت مياه نهر دجلة.

كانت قاعة الاستقبال الضخمة فوق بوابة خراسان، المفضلة لدى الخليفة المنصور، فكان يستريح فيها حين يشتد الحر في الظهيرة.

الطرق الأربعة التي توصل إلى وسط المدينة من البوابات الخارجية، زُيِّنت بالممرات المقنطرة التي ضمت المتاجر والأسواق، وتفرعت من هذه الطرق ممرات تؤدي إلى سلسلة من الساحات والمنازل، وكانت المساحة بين الجدار الرئيسي والجدار الداخلي تناسب رغبة الخليفة المنصور في إبقاء قلب المدينة منطقةً ملكية.

يتشكل قلب مدينة بغداد من منطقة مُسيَّجة ضخمة يصل قطرها إلى نحو ألفي متر، تضم في منتصفها المنطقة الملكية، وخُصصت الهوامش الخارجية لقصور أبناء الخليفة ومنازل الموظفين في البلاط والخدم، ومطابخ الخليفة، وثكنات الخيالة من الحرس، إضافة إلى المكاتب الحكومية الأخرى.

خلا الوسط إلا من أجمل مبنيين في المدينة: الجامع الكبير وقصر البوابة الذهبية للخليفة. ويمثل هذان المبنيان اتحادًا بين السلطة الروحية وسلطة الخليفة. وباستثناء المنصور، لم يكن يُسمح لأحد بامتطاء الحصان داخل المنطقة الملكية.

**مدينة سامراء**

**إن اسمها مأخوذ من (سُرَّ من رأى) وتقع على شرق نهر دجلة على بعد ثلاثين فرسخًا (حوالي مائة كيلو متر) شمال** بغداد، وهي مدينة جددها العباسيون وبخاصة هارون الرشيد الذي حفر نهرا سماه الطاقول، ثم بني بها المعتصم قصرًا وأهداه لأشناس.

كان سبب نقل العاصمة اصطناع المعتصم للأتراك.  وحدث أن بغداد ضاقت بالجند الجدد من الترك الذين استكثر منهم المعتصم ، فقد بلغ تعدادهم حوالي سبعين ألفًا، ومدوا أيديهم وأذاهم إلى حُرمَ الناس. وسعوا في بغداد الفساد، وشكا الناس للخليفة، وهدده الشيوخ بسهام السَّحرَ، (بالدعاء ليلا عليه) فوطدَّ العزم على الخروج بجنده من بغداد، فاختار سامرا وبني بها قصرًا فخمًا له، ومسجدًا عظيمًا، وبني عساكرُه دورًا حولَ قصره، وانتقل المعتصم وقواده وجنده إلى سامرا، وظل بها المعتصم حتى مات.

قد أورد كارل بروكلمان وصفًا دقيقًا لسامرا، ومن بعض دراساته عنها:

أنشأ المعتصم قناتين من نهر دجلة، خلفتا على المدينة الجديدة - بالإضافة إلى النهر نفسه - منعة الحصن البحري، وقد اعتمد المعماريون المسلمون في أبنية سامرا على نماذج فهلوية .

يقول أبو سعد: سامَرّاء بلد على دجلة فوق بغداد بثلاثين فرسخًا يقال لها سُرّ مَن رأى فخففها الناس وقالوا سامَرّاء، وهي في الإقليم الرابع، طولها تسع وستون درجة وثلثًا درجة، وعرضها سبع وثلاثون درجة وسدس، تعديل نهارها أربع عشرة ساعة، بناها المعتصم ونزلها في سنة 221هـ.

فقد أمر المعتصم أبا الوزير أحمد بن خالد الكاتب بأن يأخذ مائة ألف دينار ويشتري بها بناحية سُرّ من رأى موضعًا يبني فيه مدينة لهؤلاء الأتراك الذين سعوا في بغداد فسادًا، فقال له أبو الوزير: آخذ خمسة آلاف دينار وإن احتجت إلى زيادة استزدت .

وفي بناء سر من رأى نلاحظ التأكيد على الأسوار أو على بناء مدينة محصنة وذلك لثبوت أركان الدولة العباسية، واهتم المعتصم بأن تكون عاصمته مجمعًا للصناعات المعروفة، واعتنى بالناحية التجارية، فوسع" صفوف الأسواق"   وعمل شارعًا على دجلة جعله رصيفًا مرسي لسفن التجارة.